فاعلية الجهاز المفاهيمي التداولي في تأويل قصدية الأعمال الأدبية

The effectiveness of the pragmatic conceptual system in interpreting the intention of literary works

الدكتورة: مسلم خيرة

جامعة د. مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر

kheiracritique31@gmail.com

الدكتورة: دنيا باقل

جامعة ابن خلدون ، تيارت ، الجزائر

bakel.d.univ@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/18 تاريخ القبول: 2020/11/08 تاريخ النشر: 2020/11/14

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثيةإلى معرفة فاعلية التداولية في تأويل قصدية النصوص والخطابات الأدبية بمختلف أشكالها وصورها،وقد وقع إختيارنا على أربع نظريات ومقولات تداولية رأينا أنها تشتمل على زخم مقاصدي هائل من شأنه رفع الإبهام عن القصدية القابعة وراء الأعمال الأدبية وهي: نظرية الأفعال الكلامية، نظرية الاستلزام الحواري، والإشاريات،والإفتراض السابق؛معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

الكلمات المفتاحية: النص الأدبي ،القصدية ،التأويل، إستراتيجيات القراءة ،الخطابات ،التداولية ،الأفعال الكلاميّة ،الإفتراض السابق ،الإشاريّات ،السياق.

Abstract:

The article aims to know the effectiveness of pragmatics in the intentional interpretation of texts and literary discourse in all its forms and images. We have chosen four pragmatic theories and concepts that contain intentional dimensions. allows access to intentionality, They are represented in; the theory of speech acts, conversational implicature, deictics, and presupposition, and we used a descriptive analytical method.

Key words: literary text ;intentionality;interpretation; reading strategies ;discours ;pragmatics ;speech acts ;presupposition ;deictics ;contexte.

1.مقدمة:

إذا كانت مهمة القارئ والمؤول الحصيف للنصوص قائمة على الولوج إلى عمقهما واستنطاق أدبياتها لغرض اكتشاف عالمها والقبض على مقصديتها ؛ فإنه محتاج لا محالة إلى بعض الآليات والميكانيزمات والاستراتيجيات التي من شأنها فتح الفضاء المبسوط لعمليات التأويل السليم المبني على دعائم برهانية وحجج معرفية يمكن أن تقترب إلى - حد ما - من الدقة والموضوعية وهو ما يمكن أن يدرج تحت لواء الكفاءات القرائية . ويتجسد هذا المقتضى التصوري بعنف في ذلك التطعيم والإثراء المنهجي الذي تمارسه التداولية على عملية تحليل الأعمال الأدبية (بمختلف أشكالها وصورها) وتأويل وضبط مقصدية منتجها.

أمام هذا الطرح بات لزاما علينا الإجابة على بعض الإشكالات الجوهرية المتعلقة بصلب الموضوع ، والتي يمكن بسطها على الشكل التالي : هل يمكن للدرس التداولي المعاصر الذي ارتكز - في بداياته الأولى - على اللغة العادية langage ordinaire أن يمد جسوره وقضاياه وآلياته المعرفية نحو القراءة والتأويل الأدبي ؟ وإذا كانت الإجابة بالإيجاب ، فما أهم المقولات والنظريات التداولية التي من شأنها رفع الإبهام عن القصدية التي عقدت الألفاظ ونظمت التراكيب من أجلها في الأعمال الأدبية؟ وإلى أي حد يمكن تفعيل واستثمار هذه الآليات ذات البعد الاستراتيجي في عملية التأويل الأدبي والفك الدلالي لبعض الشفرات اللغوية والإنحرافات العدولية التي تكتنه معظم النصوص والخطابات الأدبية المُبدعة ؟ إن الإجابة على هذه الإشكاليات هو ما سيكون محور حديثنا في هذه السطور المعرفية.

2. وصف المنعطف المعرفي في استراتيجيات القراءة :

يشكل النص الوساطة بين الذات الإنسانية والعالم الذي نعيشه ، باعتبار أن الإنسان (وتطلعاته المتعلقة بالفهم والتأويل) يبقى قاصرا على إدراك هذا الكون الفسيح إلا بواسطة تلك الملكة العظيمة والمتمثلة في اللغة على أساس أن هذا الكائن لا يمتلك " إمكانية حدسية لتمييز مختلف الأشكال الذاتية للوعي " [1]، وعليه يصبح النص بمثابة الفضاء المبسوط الذي يلقي على عاتقه مهمة الربط المعرفي بين ذاتية الوعي وعالم اللغة عن طريق رمزية لغته. من اجل هذا المقتضى التصوري يتصور بول ريكور أن " الرمزي هو الوساطة الشاملة للفكر بيننا وبين الواقع ، إن يعبر قبل كل شيء عن المباشرية فهمنا للواقع " [2] فتحول العالم إلى نص لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون بمثابة

مرحلة نهائية من مستويات الاقتراب من الحقيقة ، بل على العكس من ذلك تماما إذ تصبح هذه الحقيقة أكثر كثافة ورمزية وغمضا داخل إطار النص لأنها ستصبح مجموعة من الرموز تنتظر الفك لشفراتها وتأويل مقاصدها .

من هذا المنطلق يغدو النص بمثابة واجهة حقيقة لإظهار العالم وملامسة معالمه . إنه يقوم بوظيفة تقليص المسافة الكائنة بين العالم واللغة ، ويقوم التأويل بتقليص تلك المسافة التي تفصل بين النص والقارئ ، ولكن الشيء الجدير بالذكر في هذا المقام أن المعنى الذي يحمله النص كائن انسيابي ذو حركة متناوبة داخل بوتقة النص يندس خلف الكتابة ليعرض رموزه وشفراته كمفاتيح لعملية الفهم ، لهذا تعتبر القراءة فهم ما قرأناه كما هي في نفس الوقت تأويل من تفكر فيه " إنها البنية الأساسية المشتركة بكل فهم وإدراك معنى " [3] وعليه يمكن القول أنه لا يوحد فهم محض ، فكل فهم هو قراءة للقراءة ، كما أن المعنى هو صيغة الاشتراك بين الفهم والقراءة.

و لما كانت بنية الكتابة ملازمة لبنية القراءة ومحيلة عليها، يسعى التأويل من خلال تفعيلة المعنى ورصد كينونته إلى انقاد النص من الجفاف الدلالي الذي أفرزته البنيوية التي دأبت على دراسة النصوص الأدبية دراسة سكونية معزولة عن سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي وإهمال النظر في مضمونه ومقاصده الحقيقية .

لقد سيطرت البنيوية بإجراءاتها ومعالمها المعرفية على الساحة اللسانية والأدبية بشكل عام ردحا طويلا من الزمن ، وقد مكن لها ذلك من تسوية عرشها المفاهيمي ليتربع على مجمل عقول الباحثين والمحللين ذوي النزعة الأدبية خاصة ، كما مكن لها ذلك من تأسيس العديد من المقولات والإجراءات اللسانية التي اغترفت ماهيتها من مقولة جوهرية مؤداها أن فهم النص لا يتأتى من العودة إلى مرجعياته ومقاصده بل يتأتى من العودة إلى النص بصفته لغة ،أي أن " قصدية النص - أو وجهته - لا تطابق بصفة أساسية لا القصدية المفترضة للمؤلف ولا المعيش الفعلي للكاتب الذي يمكننا استبطانه ومعايشته ، ولكنها تطابق بالعكس ما يريده النص -أي ما يريد قوله - لمن يمثل لما يوحي به . فما يريده النص هو أن يلقي بنا داخل معناه ، وهذا يعني - إذا استعملنا مفهوما آخر لكلمة " معنى " - أن يلقي بنا في الاتجاه نفسه الذي يقصده."[4]

ركزت البنيوية عنايتها على أدبية النص بتفكيك عناصره ، واكتشاف العلاقات التي تنظّم بنيته بعيدا عن السّياق بكل أبعاده واتّجاهاته وابتعدت عن التفاسير والأحكام الذوقية المعيارية، وتبنّت المنهج العلمي تنظيرا وتطبيقا ، كما اعتبرت أن سلطة النص الكبرى في قراءة النص الأدبي تتموضع في داخله ، ولم تكتف بإبعاد وغض الطرف عن المؤثرات الخارجية " وإنما أبعدت كل ما يتصل بالمؤلف بصلة ، فليس المؤلف - حسب بارت" - هو الذي يتكلم في النص، وإنما اللغة هي التي

تتكلم ، ولذلك قيض لبارت أن يعلن مقولة "موت المؤلف " التي كانت فاصلا بين البنيوية وما بعدها " [5] ، وأمام هذا الطّرح بات لزاما على محلّل النّص ذو النّزعة البنيويّة أن يطرد كل العوامل الخارجيّة وإبعادها عن النّص الأدبي . كما أصبح الأمر المهم بالنسبة للتحليل يدور حول ثلاثة نقاط أساسية :[6]

- معالجة النص بوصفه بنية منغلقة على ذاتها، ومحاولة الكشف عن القوانين التي تحكم هذه البنية.
- النظر في النص على أنه نتاج لغوي ولا يدرس إلا من خلال اللغة.
- اهتمام بعض البنيويين بالجداول الإحصائية لغرض الوصول إلى نتائج .

و عليه باتت إشكالية القصدية منوطة بالتشكيل الداخلي للنص الأدبي ،إذ لا يمكن مقاربة أي نص ولا الوقوف على المقاصد الكامنة فيه إلاّ من خلال الوقوف على أدبيّاته النسقيّة ، الشّيء الّذي أدّى إلى فصل القصد الذهني للمؤلف عن المعنى اللفظي للنص ،إحداث القطيعة بين ما كان يعنيه المؤلف في نصه الأدبي ، عما يعنيه النص ، وفي هذا إشارة حقيقية على أن هذا النوع من القراءة إنما يعتمد كلّيا على الهيكل اللغوي للنصّ وعدّه بمثابة المصدر الأوحد والوحيد للدلالة القصدية التي نظّمت الألفاظ وعقدت التراكيب من أجلها ، بمعنى أن القراءة بهذا المعنى تتعامل مع النص " باعتباره وحدة لغوية مستقلة عن السّياقات الأدبيّة للعصر الّذي يعيشون فيه فهو - القارئ- يقرأ حسب القواعد النحوية والصرفية للغة العربية ، وحسب المعجم اللغوي " [7].

و عليه تغدو عملية التّأويل الأدبي هاهنا محصورة في المعنى الذي قد يحتمله النصّ اللغوي ويرتضيه القارئ ويتلائم مع المعطيات القواعدية للدرس النحوي والصرفي والدلالي (خاصة نظرية الحقول الدلالية).

إنّها بدون شك مقاربة تبني كيانها المتعلق بالقراءة التأويلية للنصّ وفق نظرة خاصّة قوامها أن التأويل عبارة عن إنتاج خاص للدلالة النصية ، بحيث تتدخل في صفها ثقافة القارئ ومذهبه العقدي وطريقة التفكير ، ولكن تحت إطار مجموعة من القواعد والطرق المنهجية ، ولكن : لما كان النص الأدبي ينطوي على إشارات وفراغات وإمكانات قرائية وأساليب مضمرة غير مباشرة ، باتت قضية القبض على قصدية النص مسألة في غاية الصّعوبة إن لم نقل أنّها أصبحت مستحيلة مستعصية ، الأمر الّذي أدّى ببعض المنظّرين البنيويّن إلى انتقاد بعض المبادئ التي حالت دون القبض على معالم القصدية التي أنتج النص من أجلها .

- إنّ قصور المنهج البنيوي على معالجة هذه الإشكاليات المتعلقة بإنارة النص الأدبي وتأويل قضاياه ومقولاته ، هو ما دفع الباحثين واللغويين إلى البحث عن مناهج أخرى تعالج هذا القصور المتعلّق بالنّصوص ولا سيما الأدبية منها التي تنغمر بالضبابية والإشارات غير المباشرة والفراغات

والخيالات الرحبة . لقد نجح هذا البحث وتُوّج ببزوغ درس لساني جديد أغنى الساحة الأدبية واللغوية بشكل عام بمقولات ونظريات وتصورات سدّت ذلك النقص الفادح الّذي اعترى المعالجات البنيوية وقضايا التّأويل الأدبي .

لقد تمثّل هذا النّجاح في الدّرس التّداولي ، الّذي كان بآليّاته وميكانزماته واستراتيجياته بمثابة البديل الفعّال لكلّ المقاربات السّابقة التي عجزت عن تحليل النصوص الأدبيّة وتأويلها تأويلا يلامس الحقيقة القصديّة ، وتسطع هذه الحقيقة وتطفو إلى السّطح عندما نجد اللّسانيات النصية وهي تقوم بتحليل الخطاب تغترف مبادئها وتستلهم إجراءاتها من النظرية التداولية ، حيث أفضى ذلك إلى اعتبار مفهوم النص مفهوم واسع " يشمل العناصر الداخلية في تشكيلة والمرتبطة بالشروط الخارجية المحيطة به ، ويتجاوز في مفهومه كل الأجناس والتصنيفات ، وهو مثل اللغة تماما يقوم على اختلاف الدّلالة ، وتأجيل المعنى (القصد) مما يجعله مفتوحا على المشاركة لا الاستهلاك" [8].

- إنّها حقّا مقاربة تجعل من المقاصد والمقام أساسا عتيدا في دراسة الخطابات المختلفة ، وهو ما غضّت اللّسانيات الّتقليدية (البنيوية) طرفها عنه، على الرّغم من أنّ الوصول إلى المقصديّة لأي خطاب مرهون بالخروج عن الإطار الشّكلي (الصّوري / الدّاخلي / النسقيّ / المحايث)، والخروج إلى مجال أرحب خارج إطار المرجعية اللغوية المتجسدة في السّياق المادي الّذي هو " ... مجموعة الظروف التي تحفّ بحدوث فعل التلفظ بموقف الكلام " [9] أي مراعاة كل الجوانب الخارجية عن نسق النّص ولغته .

- إنّ القراءات النقدية - بتنوعها - التي تتخذ النصّ الأدبي موضوعا لها، لا تكاد تخرج عن مواقف واتجاهات بعينها تنحصر في إطار ثالوث أساسي هو : المؤلف النّص والقاريء[10].فكلّ هذه النظريات والقراءات قد تطرح أسئلتها أو أجوبتها انطلاقا من زاوية الكاتب أو زاوية النّص الأدبي ،أو زاوية القاريء؛ إلاّ أنّ التّداولية استطاعت أن تحوي كل هذه الجوانب الثّلاثة وتجعلها في خط واحد يضمن تواصلا حقيقيّا يؤدّي إلى رؤية تأويلية / تحليلية ذات بعد وظيفي ،بمعنى أنها تهتم" بدراسة الوحدات اللغويّة داخل الخطاب ، إلى جانب دراسة المحتوى غير اللّغوي ، الإعتداد بالسّياق اللّغوي وموقف المتكلّم من الخطاب ذاته ومن السّامع " [11] وبالتّالي ؛فإن الدّرس التّداولي المعاصر قد لبّى أهم شرط من شروط القراءة النّموذجية وهو شرط الإتّصالcommunication الّذي هو " التبادل الشّعري بين ذات المتكلّم التي تنتج نصّا منطوقا يخصص لذات متكلمة أخرى ، ومخاطب يلتمس الإصغاء أو إجابة واضحة ،أو مضمرة (حسب نموذج النص المنطوق) " [12] هذا بالنسبة للخطاب المنطوق ،أما بالنسبة للنصّ (المكتوب) فإن الثّالوث يكون على الشّكل الّتالي : مُؤلّف يكتب ، ونصّ مكتوب، وقارئ يقرأ ويؤوّل ،وهو ما سنبيّنه في السّطور المعرفيّة اللاّحقة .

3. مفهوم القصديّة عند الفلاسفة اللغويّين :

تستخدم القصديّة intentionnalité عند الفلاسفة اللفويين للدلالة على توجه الوعي ، أو نمط العلاقة التي تربط الوعي بمضمون ظاهرة ما [13].كما تعرّف على أنّها قدرة العقل في توجيه ذاته نحو الأشياء وتمثيلها ، وهي خاصيّة مميزة للعقل يتّجه من خلالها إلى الأشياء في العالم الخارجي ، ويتعلّق بها ، وتكون الحلات العقلية قصديّة لأنّها تكون حول شيء ما ، أو موجّهة نحو شيء ما [14].يقول سورل " القصدية هي تلك الخاصيّة الكثير من الحالات والحوادث العقلية التي نتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم أو تدور حولها أو تتعلق بها " [15] فتضم مجالات وظواهر عقلية متعددة : كالحب والأمل والرغبة والقصد والاعتقاد والإدراك الحسي والتذكر والخوف ... وغيرها من الظواهر التي تمثل أشياء أو مواقف أو حوادث في العالم الخارجي .فعندما أعتقد لا بد أن أعتقد في شيء ما ، وعندما أرغب في فعل فعل أو حدوث شيء ما وهكذا الحال عندما أرى أو أسمع أو أشم أو آمل أو أحب أو أقصد ... إن كل هذه الحالات أو المواقف العقلية تكون منوطة بشيء ما [16].

4.الجهاز المفاهيمي التداولي وقضية تأويل النص الأدبي :

أوّل أمر ينبغي التنبيه عليه في هذا الصدد ، أن اللّسانيات التّداولية كآخر ثمرة من ثمرات الفكر اللّساني تلقي على كاهلها الإجابة على العديد من الأسئلة التي عجزت اللّسانيات التّقليدية والمناهج السّالفة الإجابة عنها ، ولكن تبقى دراسة الطرائق والكيفيّات التي يستخدمها المخاطب في خطاباته ، وكيفيّات تأويل هذه الخطابات من الأمور المهمة التي تشغل مقاربات هذا المجال اللّساني ، لذلك عُرّفت التداولية عند الباحث دلاش الجيلالي على أنها " تخصص لساني يدرس كيفيّة استخدام الناس الأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم ، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث "[17]، ثم يردف ذلك بإجمال تعريفها ، بقوله : " هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية " [18] وعُدّت كذلك لأنها تحاول الكشف عن مقاصد المتكلم الأغراض التي ينشدها من خلال الخطابات والنصوص ، على أساس أن المعنى القصدي لا يمكن استنباطه من الشكل الداخلي المتعلق باللغة ، بل يجب إقحام السّياق أيضا ، بحكم أن الكثير من العبارات التي نجدها في النصوص والخطابات لا يمكننا تأويلها تأويلا سليما والوصول إلى قصديتها إلا من خلال الوقوف على الجو العام والمعطيات السياقية التي حاصرت العملية الإنتاجية لعملية التلفظ.

لقد خطت التداولية خطوات متراسّة نحو مسألة التأويل وفاقت تصوراتها ونظرياتها مقولاتها المعرفية مجمل المناهج والنظريات السّابقة المتعلقة بالفكر اللساني ، وقد تم لها ذلك بفضل ثراء منظوماتها المفاهيمية التي تجسدت في عدة نظريات ومفاهيم هدفها التعمق في أسوار لغة النصوص

والخطابات لتأويل واستنباط المقاصد والأغراض التي نُظّمت التّراكيب وعقدت الألفاظ من أجلها في النّصوص والخطابات بكلّ أشكالها وصورها حتّى الأدبيّة منها ، وفيما يلي تفصيل لذلك :

1.4 البعد القصدي في نظرية الأفعال الكلامية...نحو مغامرة التأويل الأدبي:

يعتبر " جون أوستين " مؤسس هذه النظرية ، وواضع المصطلح الذي تعرف به الآن في الدراسات الفلسفية واللغوية المعاصرة ، وتمثل ذلك في المحاضرات الإثناعشر التي ألقاها في جامعة " هارفارد " Harvard، ونشرت سنة 1962 في مؤلف عنوانه " how to do thinkwithwords" ، والّذي ترجم إلى الفرنسية عام 1970 إلى quand dire c'est faire[19]

أما بالنسبة لـ " جون سورل " فقد كانت إسهاماته في هذا المجال بمثابة تعديل وتطوير للطّرح الأوستيني في عدة جوانب ، فبالإضافة إلى زيادته لمفهوم الفعل القصدي [20] ومفهوم القوة الإنجازيّة illocutionary force[21]، وتمييزه بين المستويات التي تتخلل أي نشاط اجتماعي مستوى اللسان ، والحواجز الفردية ، والاجتماعية الواسعة) ، صنّف (سورل) الأفعال الكلامية تصنيفا مقصديا أي بالاعتماد على المقاصد التي تكتنف العواطف والأذهان بالنسبة للمتحدث (الناص / المخاطب) فقسّمها إلى الإثباتيات Assersifs والأوامر Directifs والإلزاميات Commisifs وتعبيريات Expressifs[22]....

و بالإضافة إلى هذا المنحى القصدي في هذه الجهود ، كان لسورل عدة إسهاماه متعلقة بالتنظير لمسألة القصدية ، إذ فسر سورل قصدية الأفعال الكلامية أو قصدية المعنى ، وأكد أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية ، يقول سورل في تفسيره للمعنى " إليك المفتاح لفهم المعنى : المعنى صورة من القصدية المشتقة ، القصدية الأصلية أو الباطنية للتفكير تنتقل إلى الكلمات والجمل والعلامات وهلم جرا " [23] وبدون هذه القصدية يعدّ الكلام مجرد لغو وضوضاء وعبث لا معنى له .

لهذه الأمور عُدّ القصد لبّ العملية التواصلية وعاملا أساسيا في استعمال اللغة وتأويلها ، وقد أدرك الباحثون ذلك في كل العلوم التي تتعلق بلغة الخطاب ، وأقرّوا بأنها تعمل على إظهار وبلورة المعنى ، بصورة تطابق المعنى الذي ينشده المرسل المكلف بالتعبير عن قصده بأسلوب كيفية واستراتيجية مناسبة مع عدم التغاضي عن مراعاة العناصرالسياقية ، وعليه فإن سورل أطلق صفة الفعل على الحركات والتي تصاحبها مقصدية ، وبحسب هذا يكون النص الأدبي المملوء بالإنزياحات والفراغات والشفرات نوعا من الفعل لأنه مقصود غالبا " فلا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات

دون وجود قصدية وراء فعل التواصل " [24]، وغاية قصد المرسل (الناص) هي إفهام والمرسل إليه ، ويشترط في هذا الأخير (النص) وهو يحاول أن يعبر عن قصده أن يملك كفاءة لغوية تمكنه من إدراك العلاقة بين كل دال ومدلوله ، وكذلك معرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالها ، أي عالما بمواصفات إنتاج خطاب ما لهذه اللغة[25] و هو ما يدخل أحيانا ضمن نطاق " الكفاءة التداولية " .

و لما كان النص الأدبي ذو كثافة رمزية تعول معوالا على الكفاءة التداولية compétence pragmatique في سد الفراغات والمساحات الشاغرة ورفع اللبس عن الغموض والضبابية الناتجة من توظيف الإستعارات والكنايات والتّعريضات والمجازات الفنية المختلفة -لكي يحقق جماليته وشعريته- ؛ كان لزاما على "سورل " أن ينظّر لبعض المقولات التّداولية التي من شأنها رفع الإبهام عن هذه الأساليب غير الحرفية ، وقد تم له ذلك من خلال تفريقة بين الفعل الكلامي المباشرة والفعل الكلامي غير المباشر ، بالنسبة للأوّل عّرفه بأنه ذلك الفعل الّذي تطابق قوته الانجازية مراد المتكلم ، أي أن يكون القول مطابقا للقصد بصورة حرفية تامة " [26]، كما عرف الفعل الكلامي بأنه " الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه ، وهو يعني حرفيا ما يقول ، وفي هذه الحالة يكون المتكلم قاصدا أن ينتج أثرا إنجازيا على المتلقي ، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعله المتلقي يدرك قصده في الانجاز " [27] بمعنى أن هذه الأقوال تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول ، وهو ما يظهر غالبا على النصوص غير الأدبية كالنصوص العلمية مثلا .

أما بالنسبة للأفعال الكلامية غير المباشرة ، فهي تلك " التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم " [28] أي هي الأقوال التي لا تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول ، أو هي التي يخالف فيها ظاهر القول القصد الذي يسعى المرسل (الناص) الوصول إليه . وعليه يرى سورل " أننا في حالة التعبير البسيط تنطق ، جملة واحدة ونقصد ما نقول تماما ، ولكن المشكلة تكمن في أن الأمور لا تسير دائما بهذه البساطة ، ففي كثير من الأحيان يختلف المقصود عن التعبير الحر في الدلالي للمنطوق ، كما يحدث في الاستعارة والتشبيه والكناية ..." [29] ، ويلاؤم هذا النوع من الأفعال النصوص الأدبية التي تعتمد على لا مباشرية لغتها الرمزية ، وعليه يبقى المحلل للخطاب بالحاجة ماسة لمثل هذه المفاهيم حتى يتسنى له معرفة وإدراك المعنى المخبوء وراء الصياغات والاستعمالات الكلامية ذات البعد الفني وهو ما نجده كثيرا في النصوص الشعرية .

إضافة إلى هذا يتدخل القصد - حسب سورل - كذلك في إنشاء المجاز ، من خلال تفكيك العلاقة الأمثل بين الدال والمدلول ، وإنشاء علاقة جديدة تستند على خلفية كل من المرسل والمرسل إليه لمعنى هذه الكلمة ، فيعمد طرفا الخطاب (الناص) و(المحلّل / المؤوّل) منذ البداية إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والمجازات لأن لا يقفا في تساؤل كما يقصدان ، فيحصر المرسل الدلالة

في أفق ضيق لئلا يفهما غير المتخاطبين ، وهو نوع من المواضعة الجديدة التي تنشأ دلاليا من لب الإصطلاح الأصلي [30] وهو ما نجده مطروحا بين أصحاب النزعة الأدبية (الكتاب والنقاد) واللسانيين فهم كلهم أصحاب حرفة ، تنتشر في معاجمهم الذهنية مجموعة من العبارات والتقنيات والأساليب التي لا يمكن لأحد آخر - غير متمرس - القبض عليها وطريقة عملها ولا إلى الوصول إلى التأويل السليم لما قيل أو كتب ، ويندرج ذلك تحت لواء " الكفاءات القرائية".

و عليه يصبح محلل الخطاب بمثابة متلقي يحقق ويكمل الأفق التواصلي ، حيث يوظف خبراته الحياتية ومعارفه القبلية وإجراءاته التداولية في سبيل فهم أوعى وأشمل للمعاني المطروحة في النصوص الأدبية ، لدرجة أنه يصبح في الكثير من الحالات يفرق بين القصد الرئيسي الذي هو " الإيحاء بذات الحكم في ذهن المستمع أي دفعه إلى إصدار نفس الحكم " [31] والقصد الثانوي الذي هو " التعبير عن الاعتقاد الشخصي في صحة مضمون الحكم " [32] وهو يوضع أحيانا في خدمة القصد الرئيسي الذي صدر من لدن المرسل (الناص) وهو ما نجد مطروحا في النصوص الأدبية بمختلف أشكالها وصورها .

2.4 الإشاريات وقضية القصدية في النص الأدبي :

هي جانب مهم من الجوانب التي تعتد بها اللسانيات التداولية ، وقد قام بإرساء معالمها الباحث السيميائي« شارل ساندرز بيرس »[33] C.s. .peirceوهي بحسب بعض الباحثين التداوليين تندرج تحت لواء تداولية الدرجة الأولى " المتجسدة في النظرية التلفظية المعنية بمقاربة الرموز والأدوات التعبيرية المتّسمة بالغموض (المبهمة) ضمن الإطار الإستعمالي لها ، ويتجسد هذا بإعتمادها على " السياق الوجودي ، المتمثل في المخاطبين ، ومعطيات الزمان والمكان ".[34]

و الجدير بالذكر ، أن الإشاريات تّتجه اتجاها تحليليا للنصوص والخطابات ، وذلك بالربط بين هذه الأخيرة وملابسات الجو الإنتاجي لها وحصر المفارقات والظروف لرفع الإبهام عن القصديّة التي أُلّف النص من أجلها ، وحتى لا يزيع التأويل السليم عن منحاه الحقيقي ، وعليه فإن للإشاريات دور لا يستهان به في عملية فهم النصوص وتأويلها ، على أساس أنها " تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه " [35]

في ظل هذا المقتضى التصوري ، يمكن القول أن تلك النظرة التقليدية المتعلقة بالإشاريات عند أصحاب النزعة البنيوية والتي كانت ترى في الإشاريات مسلكا من بين المسالك المؤدية إلى صلابة الخطاب وتماسكه ، حتى يغدو كتلة متراصة لا تقبل التجزئ والانقسام ؛هي نظرة محدودة لا تفي بالغرض الحقيقي ولا بالوظائف المهمة الأخرى المنوطة بالاشاريات وفي طليعتها الوظيفية التي تسمح بتأويل الصياغات والعبارات تأويلا سليما يفضي للوصول إلى القصدية .

و بالتالي تغدو مسألة القبض والتتبع الدقيق لهذه الإشاريات من المسائل المهمة التي يجب أن تشغل بال اللساني (المحلل / القارئ / المؤول) الحصيف، ذلك أنها تؤدي إلى تفادي حالة التملص والاستعصاء الذي يمارسه النص على متلقيه، فيختفي التعقيد والغموض وينزاح الستار عن بعض المكامن القصدية الموجودة على طول النص الأدبي ، وعليه يمكن الجزم بأنه : مهما كان القارئ كم هائل من الأدوات القرائية والممارسات الأدبية القبلية والتجارب الفنية ، إلا أنه بحاجة ماسة إلى رصد كل الإشاريات الموجودة على طول النص الأدبي بدقة متناهية ، سواء تعلق الأمر بالظاهرة منها (الموجودة في البنية السطحية) أم الموجودة على مستوى البنية العميقة (البنية الضمنية) . وكل هذا من أجل خلق تأويل مناسب للنصوص الأدبية .

3.4 غرايس وتعميق مبدأ القصدية :

تعتبر القصدية من القضايا المهمة التي شغلت لب عنابة غرايس ، وقد بلور ذلك في مبدأ التعاون coopérative principe ، ويقصد به ذلك " المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل إليه على تأويله وفهمه " [36] ، ويعتبر هذا بمثابة ظابط للعملية التواصلية ، حيث يتم فيه املاءات على أطراف التخاطب ، يفترض أن يراعيها كل متكلم قاصد إلى تبليغ قصد معين أو غرض ما وبالتالي انجاز الفعل وتحقيقه بنجاح ، وانطلاقا من هذا المبدأ العام أطلق غرايس نظريته المسماة " نظرية الاستلزام الحواري Implicature Conversationnel ، التي عدت فيما بعد أكثر النظريات انتشارا في الدراسات التداولية المطبقة على مختلف اللغات ، وترجع نشأتها إلى المحاضرات التي ألقاها غرايسHP. Grise في جامعة هارفارد سنة 1967 ، فقدم فيها تصوره لهذا الجانب من الدرس ، والأسس المنهجية العامة التي يقوم عليها.[37]

لقد اعتمدت هذه النظرية على مجموعة من الأسس التي تنظم العلاقة الحوارية بين المتكلمين الذين يدخلون في الحوار بناءا على عقد ضمني يحدد إسهام كل واحد من المتحاورين في تنمية العملية التخاطبية ،باعتبار أن أهم مبدأ في هذه النظرية يسمح بإتاحة الفرصة لكل طرف في الحوار أن يتوقع من الآخر " أن يلتزم بجملة من المواضعات أثناء كلامه " [38] وكذلك تلقي هذه النظرية بظلالها على ذلك البعد الذي يُعنى بمراعاة المتلقي وتطلعاته " فالمتكلم يراعي المخاطب في كل ما يأتي ويدع ، لغويا ونفسيا واجتماعيا وثقافيا ، بل إنه يسخر في ذلك ما قد يعين في التبليغ من التعبير بالإشارة ، والملامح... ليجد في المخاطب نفسه تعاونا ، متمثلا في الإصغاء ، ومحاولة الفهم والإنتباه ، وقوة التركيز وغيرها من العوامل المساعدة في التلقي الجيد ".[39]

لقد فرّع غرايس مبدأ التعاون إلى مجموعة من المسلمات الفرعية وهي : [40]

1- **مسلمة القدر Quantité:** وهي توصي بجعل المبادرة الكلامية تفيد القدر المطلوب من الاختبار

2- **مسلمة الكيف Qualité:** وتنص على عدم التلفظ بكلمات لا يستطيع الأخير البرهنة على صدقها

3- **مسلمة الملائمة Pertinence:** لتكن مساهمتك ملائمة لمقتضى الحال

4- **مسلمة الجهة Modalité:** وتنص على الوضوح في الكلام من خلال الابتعاد عن اللبس واستعمال الإيجاز والترتيب في الكلام.

يعتبر غرايس أنّ هذه المسلّمات تمثل ضابطا يتحكّم في استخدامات المتكلم ، كما أنه يعتبر هذه الضوابط كفيلة " يوصف لأنواع الدلالات التي يكن لمتكلم أن يوحي بها في حالة عدم التزامه بأحد هذه الضوابط " [41] بمعنى أن ظاهرة الاستلزام الحواري تنتج عندما لا يلتزم (يخرق) المتكلم أحدى المسلمات الأربعة ، أي يتولد عن هذا الخرق معان ضمنية بالإضافة إلى المعنى الصريح المباشر. وعليه فإن المعاني الضمنية هي نوع من المعاني التي لا يمكن لأي متلقي أن يدركها من خلال البنية السطحية للجملة ، بل لا بد عليه الأخذ بعامل السياق المؤطر للحدث التواصلي .

و لما كان النص الأدبي ، ولاسيما الشعري منه مطعم بلغة غامضة ملؤها رموز وأساليب عدولية تقفز على الثابت وتشجب ، المعيار المتواضع عليه ، وتعتمد فجوات شاغرة وشفرات معقدة ؛ فإنه يضع نفسه أمام قارئ حصيف يعتد ويستثمر مثل هذه المقولة (نظرية الاستلزام الحواري) في استراتيجية قراءته . وتظهر أحقيّة هذا المقتضى التصوري حين ندرك أن الأساليب غير المباشرة التي يعتمدها النص الأدبي وتُغذّي كيانه من استعارات وكنايات ومجازات وتشبيهات ... تخرق بعض المسلمات التي أدرجها غرايس ضمن مبدأ التعاون مثل : مسلمة الجهة التي توصي بالوضوح والإيجاز والترتيب . فمعظم النصوص الشعرية مثلا لا تلتزم بهذه المسلمة ، وبالتالي فإنها تخلق معاني استلزامية ينبغي أن يتقفاها المؤول بدقة متناهية عمادها بصيرة نافذة إلى سطور هذا النص وبنيانه والسياق بكل حدوده ومستوياته ، الأمر الذي يخلق أمام القارئ النموذجي آفاقا ومنافذ إجرائية تساعده في عملية التأويل والقبض على المقاصد التي يمكن أن يتضمنها أي نص أدبي.

4.4 الافتراض السابق :Présupposition

يعتبر الافتراض السابق من الآليات التداولية التي نلفيها تفرض نفسها في الجهاز المفاهيمي التداولي ، وهو من الظواهر المختصة بالأبعاد الضمنية التي تكتنف النصوص والخطابات ، يقول ستالناكر معرفا هذا المفهوم : " إن عمليات الافتراض هي ما يعتبره المتكلم أرضية مشتركة مسلما بها

لدى كل أطراف المحادثة "،[42] و عليه يمكن القول أن الباحث والمتلقي ينطلقان من افتراضات معترف بها بينهم ، فعندما يوجه الباحث حديثه إلى المتلقي فهو ينطلق مما يفترض سلفا أنه معلوم له .

من هذا المنطلق فإن الافتراض السابق هو تلك " الخلفية التواصلية الضرورية المحققة لنجاح العملية التفاعلية ، انطلاقا من السياقات والبنى التركيبية العامة في أي عملية معنية بإنتاج الكلام".[43]

إن ما يهمنا أمام هذا المفهوم التداولي هو إفراز حقيقة معرفية مفادها أن هذا الأخير من الفعاليات الذهنية التأويلية، والتي يمكن من خلالها استنباط بعض المعاني الضمنية والمقاصد الملقاة في البنيات العميقة للنص الأدبي ، على أساس ان الكثير من الأدباء والكتاب والمبدعين يلجئون إلى بتر (حذف) بعض المقاطع والكلمات رغبة منهم في تحقيق الجمال الفني من جهة ، ومن جهة أخرى إفتراضهم المسبق أن للمتلقي اللبيب (القارئ النموذجي) ذو الكفاءة التداولية إمكانات قرائية تؤهله لاستنباط المحذوف ، وذلك باعتماده القرائن الموجودة في النص الأدبي والتي تقوم بدور جوهري في عملية التوجيه الدقيق والسليم لتنبؤات وتأويلات المتلقي للعنصر المحذوف ، أي بالاعتماد على " السياق اللغوي في إكمال النقص الذي يلحق التعبير اللغوي "،[44] وهو ما نجده في قول بدر توفيق .[45]

تباعدوا وافترقوا
انتبهوا لموقع القدم
نملة هذا الموسم الفسيح لم تشبع هواي
جوع مطلبي النهم
ألم أقل لكم ...
ألم أقل ...
ألم ؟ ...

فالشاعر يتوقف فجأة ليترك المجال للقارئ أن يتفاعل مع هذه المساحات الشاغرة ثقة منه بأنّ المتلقي قادر على إتمام النقص " انطلاقا من وحي فهم النص ".[46] بمعنى أن الشاعر يفترض مسبقا أن هذه الفراغات لن تستعصي ولن تقاوم القارئ الذي قرأ نصه الشعري بكثير من الرؤية والتعميق والنّفاد والتدقيق في العبارات والصياغات القبلية ، أي الأفعال الكلامية التي سبقت ذلك الحذف والتي كانت بمثابة قناة يتم من خلالها خلق علاقة تواصل ذات بعد تفاعلي مع القارئ .

أمام هذه المقتضيات التصورية التي اختصت بالتداولية وتحليلها "المقاصدي "للخطاب ؛ يمكن القول أن هذا الدرس اللساني المعاصر اعتمد على مقومات مفاهيمية تنظر إلى اللغة بوصفها آلة تواصلية

تنجز عملا في الواقع لا كأداة ساكنة تدور حول نفسها ، بمعنى أنها اهتمت " بالوظيفة التي يقوم بها أو الغرض الذي يرمي إليه عنصر ما من المادة اللغوية وكذلك بالكيفية التي تعالج بها تلك المادة سواء من قبل الباحث أو المتلقي "،[47] وعلى الرغم من هذا الاهتمام الكبير المنصب على معطيات السياق الفيزيائي والاجتماعي وأغراض المتكلمين القاصدين ،إلا أن التداولية وهي تحاول خلق منهج خاص في التحليل المقاصدي للخطاب لم تهمل ما أتت به البنيوية من إجراءات وتنظيرات ، بل أقامت مشروعها على انصهار منهجين دراسيين هما المنهج التقليدي الوصفي الذي يلقي مقارباته وجهوده حول عملية فهم ووصف الأشكال اللّغوية التي ترد في مجال معطيات المحلل والمنهج الوظيفي التواصلي الذي يعتمد اعتمادا حقيقا على السّياق والظروف والحيثيات المحيطة بهذه الأشكال.

تأسيسا على هذه الرؤية ، فإن كل ما يقال وكل خطاب مدون لا يتحقق ترهينة – حسب المنهج التداولي – إلا بفصل العلاقة الحوارية التي يتيحها فعل القراءة ، والذي يساوقه التواصل مع / ضد نتيجة العلاقة الجدلية بين المعنى وعمل الوعي (المتلقي) ، وبالتالي فإن النص الأدبي هو عمل إبداعي ينشد التواصل ، فهو ينشد المتلقي منذ بدء انجازه ، أي حتى في غياب متلق حقيقي، فحيث لا يذهب بعد المتلقي ، تتسرب فكرته أو توقعه النائب عن حضوره تحت وعي النص.[48]

5. الخاتمة:

لقد توج البحث ببعض النتائج المهمة منبينها:

أولا: لقد مثل البعد القصدي نواة النظرية التداولية،وتتبين مصداقية هذا المقتضى التصوري حين نلفي هذا البعد يتموضع في قطب رحى أهم النظريات التداولية؛

ثانيا: إن هذه الحقيقة المعرفية ألقت بضلالها على التداولية وقضاياها ومقولاتها بجعلها تسير وتوّجه بوصلتها الإجرائية نحو الأفق التأويلي لمقاصد الأعمال الأدبية، بعدما كانت بداياتها الأولى ترتكز أساسا على دراسة اللغة العادية؛

ثالثا:تظهر هذه الممارسات بعنف في نظرية أفعال الكلام ولا سيما ما تعلق منها بنظرية الأفعال الكلامية غير المباشرة (وهو ما يمثل عبارات الكناية والإستعارة والمجازات المختلفة... في الأعمال الأدبية)، ونظرية الاستلزام الحواري (خرق إحدى المسلمات وعلاقتها بإجلاء وإكتشافالإنزياحات العدولية لتراكيب الأدب)،ومفهوم الإشاريات وما يفضي إليه من وضوح في الدلالات الأدبية، وكذا مفهومالإفتراض السابق وما يخلفه من إدراك لتلك المساحات المحذوفة (الشاغرة) وبالتالي الوصول إلى القصدية التي عقدت الألفاظ ونظمت التراكيب والأساليب الأدبية من أجلها.

الإحالات:

[1]pierre Charles , « écrits sur le signe » TRAD : Gérard delle dalle , édition i seuil , (paris , 1978), p 246.

[2]Ricœur (p) , de l'interprétation , essai sur Freud , édit : seuil, (paris , 1965), p 20.

[3] عمارة ناصر ، اللغة والتأويل ، مقاربات في الهرمونيطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي ، الدار العربية للعلوم ، دار الفرابي ، منشورات الاختلاف ، ط1، (الجزائر ، 2007)، ص 37.

[4]خليل موسى ، جماليات الشعرية ، إتحاد الكتاب العرب ، (دمشق ، 2008)، ص 256.

[5]المرجع نفسه ، ص 261

[6]ينظر: المرجع السابق ، ص ص 264/263.

[7]عبد الكريم الكردي، قراءة النص مقدمة تاريخية ، مكتبة الآداب علي حسن ، ط1،(القاهرة ، 2008).

[8]ينظر: خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1، (الجزائر ،2009)، ص 43

[9]عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى ،(ليبيا،2004)،ص 25.

[10]ينظر: عبد الناصر حسن محمد و مصطفى طموم ، نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات - المنيل ، (القاهرة ، 1999)،(المقدمة) .

[11]خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 41.

[12]خليل موسى، جماليات الشعرية296 .

[13]محمد شوقي الزين (2011)، الفينومينولوجيا وفن التأويل: www.fikrwandakd Aljariabed, net ,

[14]ينظر: صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل ، دراسة في فلسفة سورل ، دار تباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، (القاهرة ، 2007)، ص 169.

[15]المرجع نفسه ، ص 155.

[16]ينظر المرجع نفسه ، ص 151.

[17]دلاش الجيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، ص 01.

[18]المرجع نفسه ، ص 01.

[19]voir :Patrick Charaudeau , Dominique Moingveneau ,dictionnaire analyse du diacours , edition du deuil,(paris , février 2002), VI ieme , P 16

[20]ينظر : أحمد واضح : الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري ، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية ، جامعة وهران ، (الجزائر ، 2012)، ص 123.

[21]voir : CathrineCerbratOrrechiono , les actes de langage dans le discours , théorie et fonctionnement , édition nathan , (paris , 2001), p 150

[22]ينظر : خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 99.

[23]صلاح إسماعيل ، فلسفة العقل دراسة في فلسفة سيرل ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ،(القاهرة ، 2007)، ص 230.

[24]عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1، بيروت ، (لبنان ، د ت) ص 183.

[25]ينظر المرجع نفسه ، ص 183.

[26]علي محمود حجي الصراف، في البراجمائية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة دلالية ومعجم سياقي ، مكتبة الآداب ، ط1 ، القاهرة ، 2010، ص 08.

[27]عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 135.

[28]محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 50.

[29]علي محمود حجي الصراف ، في اليراجمائية ، ص 124.

[30]عبد الهادي بن طافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 85.

[31]عز العرب الحكيم نباني ،الظاهراتية وفلسفة الغة ، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، (لبنان ، 2003)، ص 154.

[32] المرجع نفسه ، ص 154.

[33] ينظر محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 16.

[34] خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، ص 79.

[35] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 81.

[36] عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات القراءة ، ص 96.

[37] voire : François Recanati, les énoncé performatifs, édition de minuit, paris , 1986, p 143/144

[38] ج.ب. براون وجورج يول: تحليل الخطاب ، مترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي ، دار النشر والمطابع ، (الرياض ، 1997)، ص 102/101.

[39] نواري سعود أبو زيد ، في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، الطبعة الأولى ، (الجزائر ، 2009)،ص52.

[40] ينظر : سعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 31.

[41] ج.ب. براون وجورج يول: تحليل الخطاب ، ص 41.

[42] ج.ب. براون وجورج يول: تحليل الخطاب ، ص 37.

[43] أحمد واضح ، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي ، من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري ، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية ، جامعة وهران ، (الجزائر ، 2012)، ص 137.

[44] محمد محمد يونس علي ، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، دراسة حول المعنى وظلال المعنى ، منشورات جامعة الفاتح ، (ليبيا ، 1993)، ص 142.

[45] حمدي النسيج ، الحداثة في الأدب ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، (مصر ، 2010)، ص 11.

[46] المرجع نفسه ، ص 11.

[47] ج.ب. براون وجورج يول: تحليل الخطاب ، ص 31.

[48] محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، ط1، 1991، ص 36.